العيادة الطبية عراق مصغر لكنه موحد ومتماسك

(المدى) تروي حكايات عن التعايش العراقي الجميل

بدا المريض المسن منهكاً من صعود السلم الطويل رغم معونة ذويه. وحين أجلسوه على أريكة خشبية، همس مستعينا بالله: "يا الله يا عظيم يا الله".
إلى جانبه، جلست امرأة عجوز ذات ملامح ريفية جنوبية، استعانت هي الأخرى مرددة: (يا علي يابو الحسن)، وبينما رطن صبي مع والدته البدينة باللغة التركمانية، أقسم شاب "بالمسيح" ثلاث مرات أثناء حواره مع صاحبه، في حين كانت إحدى الفضائيات تعرض تحقيقا مصورا عن موضوعة ما يسمى بتقسيم العراق والفيدراليات وهجرة المسيحيين.
حدث كل ذلك في عيادة طبيب أخصائي وسط العاصمة بغداد...

□ بغداد/ عبد الكريم العبيدي

الفرح يوحدهم.. (أرشيف)

عراق مصغر

حالات "مؤتلفة" أخرى بدأت تتضح في تلك العيادة، كان هناك تباين حاد في لهجات أحاديث المرضى وأسمائهم وأزيائهم ونوع تذمرهم أيضا. بعضهم كان يلفظ حرف الجيم بطريقة أهل الشام. وآخرون يلفظونه ياء كما يفعل سكان جنوب العراق. السكرتيرة بدأت تفضح التباين في أسماء المرضى أيضا: "عمر، علي، إياد لوقا، سميع، كاوه".

وبينما كان البعض يعتمر الكوفية والعقال "أبو شعر" كان آخرون يضعون على رؤوسهم صدارة أو كاسكيته، ويجلسون إلى جانب شابة سافرة وأخرى ترتدي (بنطلون كابوي ضيق)، وثالثة تخفي وجهها وجسدها بل وحتى كفيها بعباءة سوداء.

الخليط "المتباين" هذا، بدا "متآخيا جدا" داخل عيادة طبيب استطاع بمهارته "فقط" أن يجمعه ويذيب اختلافاته الأثنية والعرقية، بعيدا عما كان يدور خارج عيادته، حتى أن رجلا في الخمسين من العمر لم يصبر على مطالعة افتتاحية في إحدى الصحف المحلية، فرماها على الطاولة وبدا وكأنه يزعق في وجه زوجته: "يا إلهي ما الذي حل بالعراق الآن!؟"، في حين ظلت زوجته متماسكة، كأنها أدركت أن هذا الفاصل "العياداتي" القصير قد بدد كل (طائفياتهم) في الخارج، ووحدهم داخل عيادة طبية، بدت كعراق مصغر ولكنه موحد ومتماسك!

واحة الانفتاح

هذا هو ما يطلق عليه إذن بالتعايش الاجتماعي، وهو صورة ناصعة سرحت إلى سبعينيات القرن الماضي، إلى صف مدرسي وحصة التربية الإسلامية ومدرس اللغة العربية وذكريات لا تنسى.

فمن المعروف أن حصة (التربية الإسلامية)، شأنها شأن حصص التربية الفنية والتربية الرياضية واللغة الكردية، كانت وما زالت عرضة لغزو المواد العلمية في المدارس العراقية كافة، خصوصا في الأشهر الأخيرة من كل الأعوام الدراسية، وتلك ظاهرة غدت مألوفة للمدرسين والطلبة على السواء.

لكن ما حصل في (مدرستي) ذات يوم هو وفاة مدرس التربية الإسلامية وبقاء حصته شاغرة قبل أن تتعرض كالعادة لغزو المواد العلمية لأكثر من شهر، الأمر الذي دفع بمدير المدرسة إلى تكليف مدرس اللغة العربية بتدريس مادة (الدين) مع إبقائه مدرسا للغة العربية، وهي خطوة بدت (مزعجة جدا) للمدير، وقد لجأ إليها مجبرا بعد اعتذار جميع مدرسي المواد الأخرى عن تدريس مادة التربية الإسلامية.

ليس هذا هو كل أسباب انزعاج المدير وقتها، بل كانت النسبة الأكبر منها هو أن مدرس اللغة العربية كان معروفا بتوجهاته العلمانية، وكان (مفضوحا) بانتسابه السابق إلى أشهر حزب يساري عراقي في ذلك الوقت، قبل أن يجبر على التخلي عنه مكرهاً بعد اعتقاله وتعذيبه وإجباره على الانتساب إلى ما يعرف بـ (الصف الوطني)، إحدى خزعبلات عقلية النظام السابق المضحكة!

قدم مدرسنا (الجديد) باعتباره مدرسا للتربية الإسلامية، وكان أول ما أثارنا هو (الكارزما) التي تصوره شكلا ومضمونا على خلاف مدرس الدين الراحل، فقصة شعر رأسه كانت تعرف وقتها بـ (الخنافس)، وكانت فتحة قميصه تظهر عدة حلقات من قلادة ذهبية مخفية، وكان يرتدي قميصا ضيقا جدا وبنطالا من نوع (الجارلس)، وكل هذه المظاهر كانت تتقاطع مع مدرسنا القديم الذي كان شبه حليق الرأس، وكان يرتدي قميصا فضفاضا مقفل الأزرار لغاية زر ياقته، وبنطالا فضفاضا أيضا، وكانت أصابعه تزينها الخواتم الفضية، ولا تفارقها مسبحة من نوع (١٠١)، رغم أن لسانه كان يلهث (بحب القائد) على مدار شرحه لأية آية قرآنية حتى لو كانت من سورة الفاتحة!!

بعد هذه المقارنة الظاهراتية بين المدرسين المتناقضين، حصلت مفاجأة كبرى أخرى لم يك أحد يتوقعها، فعند قراءة مدرسنا الجديد لقائمة الحضور، نادى باسم (ثائر ميخائيل)، فأجابه أحد الطلبة بأنه مسيحي، ثم نادى باسم (صباح يعقوب) فقيل له انه مسيحي أيضا، ثم نادى (باسم سميع) فقيل له انه صابئي مندائي، وحين نادى باسم (مكسيم حزقيل) قيل له انه يهودي!، وكان من المعروف أن أي طالب من غير المسلمين لا يحضر حصة التربية الإسلامية وغير ملزم بها في الامتحانات.

انزعج مدرسنا الجديد لسبب لا نعرفه، وطلب من أحد الطلاب استدعاء زملائنا وإعادتهم الى الصف، وبقدر ما كان الطلب صاعقا كانت عودة زملائنا على مضض أكثر دهشة.

قال لهم أستاذ (الدين/ العربية): من المفترض أن نتجاوز الخصوصية التي تكرس الانغلاق، وتجعلكم طلقاء في ساحة المدرسة المقفرة لمدة خمس وأربعين دقيقة ثقيلة تشعركم بعزلتكم. علينا ألا نناصر منطق الانغلاق على واحة الانفتاح، كي ننبذ كل ما من شأنه الحط أو استشعار الآخر بأقليته الدينية أو القومية، وعلينا تبني علاقة سلمية ملؤها الحوار ونوايا التعايش، وهذا لا يتأتى إلا عبر تبني ثقافة المساواة، وتأسيس ثقافة للتعايش.

ثم أضاف: سوسيولوجيا أثبت أن أي جماعة محكومة بمؤثرين: الانفتاح والانغلاق. ويتغلب الانفتاح في أحضان الديمقراطية، بينما تتغلب نزعة الانغلاق في المجتمع الدكتاتوري.

ونحن لم نصل بعد إلى مفهوم الوطن الواحد، وطن يمارس فيه الجميع علاقتهم بدولتهم، من خلال انتمائهم المباشر إلى الوطن، لا الى الدين أو الطائفة أو المذهب أو العشيرة.

مدرسنا الجديد بين أن حصة التربية الإسلامية هي حصة ثقافة أولا، نتحاور فيها حول تأثير الأديان وتقاربها، وكيفية التعاطي معها لخلق إنسان يتمتع بمواطنته ويتآخى مع غيره، ثم صمت قليلا وأردف قائلا: أنتم أحرار طبعا بحضور هذه الحصة، وأحرار في مناقشة ذلك في ما بينكم وبين أسركم وزملائكم، لكنني أتمنى أن أجدكم هنا الآن أو في الحصة القادمة ولكم الخيار.

كانت دهشتنا لا توصف في ذلك اليوم المميز، وسرعان ما عقدنا حوارات مطولة حول مبادرة مدرسنا الجريئة انتهت دون شك بموافقة الطلبة الأربع على الحضور، وكم كانت فرحتنا لا توصف حين حضر ثائر وصباح (المسيحيين) ووسام (المندائي) ومكسيم (اليهودي) الى حصة التربية الإسلامية وكانوا أكثرنا تفاعلا وحماسا في حواراتهم وتعقيباتهم وجدلهم، حتى باتت تلك الحصة التي طالما غزتها المواد العلمية سابقا هي من أكثر الحصص متعة وفائدة وبتنا ننتظرها بشوق، وهو أمر لم يرق (طبعا) للسيد مدير المدرسة الذي تلقى تقارير سرية من بعض الطلبة مشفوعة بتذمر كبير من اللجنة الاتحادية والمنظمة الحزبية، فسارع إلى إقصاء المدرس وجعل الحصة شاغرة حتى غزتها من جديد المواد العلمية.

بعد شهر اختفى مدرسنا الجميل وباتت حصة (العربية) شاغرة أيضا، وتبين لنا في ما بعد أنه أعتقل وعذب ثم حكم عليه بالإعدام شنقا!

كم أنت "قديم جدا" يا عم

جارنا المتقاعد أبو عمر ٨٧ سنة. استذكر إحدى ليالي العاشر من محرم قبل أكثر من ثلاثين عاما، قال: "كان لي جار اسمه الحاج عباس، ينحر في كل عام عجلا بمناسبة يوم عاشوراء. وكان كل شيوخ وشباب ونساء محلتنا يهبون لمساعدته. أذكر منهم: الحاج مراد، وهو من البلوش، وشاكر عبد القادر وهو سني، وأوسم بطرس وهو مسيحي، وناصر الغانم وهو شيوعي. أحد سجناء نقرة السلمان الذين أطلق سراحهم في ما بعد. وأبو صادق وهو من الذين أطلق عليهم في ما بعد صفة التبعية الإيرانية! وأذكر من النساء "هدية" وهي امرأة تركمانية، وأيضا زوجتي رحمها الله التي كانت تصر على ثرم "انجانه بصل" لمساعدة أسرة جارنا الحاج عباس.

نعم أتذكر كل ذلك، وأذكر عندما سألني ولدي (عمر)، وكان عمره آنذاك لا يتجاوز الخمس سنين عن أسباب ذلك التجمع، أخبرته عن واقعة الطف، ولزوم مساعدة جارنا، لكي لا أجعل بينه وبين أخوته من الأديان والطوائف الأخرى حواجز واختلافات، فنحن أمة واحدة "وإن أكرمكم عند الله اتقاكم"...

حدقت في وجه جاري الطيب أبو عمر، وشعرت بأن حكايته الجميلة عن يوم عاشوراء هي ذكرى "موغلة" في القدم، رغم أن ثلاثين عاما فقط تفصلنا عنها، نعم. ثلاثون عاما لا غير!

صناديق الأقتراع للجميع.. (أرشيف)

مواد للبناء مطعون بصلاحيتها وسلامتها

أخطاء إنشائية تهدد مشاريع إعادة الإعمار

□ المدى/ خاص

اجمع خبراء ومهندسون على وجود أخطاء إنشائية، مقصودة وتحيطها شبهة التلاعب والفساد أو ناتجة عن جهل وقلة خبرة، تهدد المباني والمشاريع الحديثة التي تدخل في عملية إعادة الإعمار في العراق، أو في مشاريع القطاع الخاص.

"عين المدى" تتبعت مشاكل عدد من المشاريع والمجمعات ولاحظت أن سوق المواد الإنشائية في العراق يزخر بأنواع هائلة من المواد الإنشائية التي تتباين من حيث جودتها بدرجة كبيرة، وان أنواعا عديدة من مواد البناء التجارية المغشوشة تدخل إلى السوق من غير رقابة أو من خلال أساليب قديمة للرقابة ، علما أن مثل هذه المواد تؤثر بدرجة كبيرة في صحة الإنسان والبيئة علاوة على تأثيرها السلبي المباشر في الهياكل الإنشائية وذلك لرداءة مواصفاتها الفنية وعدم مطابقتها لمواصفات الجودة العالمية إضافة إلى ما يسببه استخدامها من هدر كبير في الأموال والوقت أيضا.

خزانات المياه

المهندس والخبير في مواد الطلاء عادل محمود بشير إلى ظاهرة تسرب المياه والرطوبة من الكثير من الأبنية الحديثة التي تشيد في نطاق إعادة الإعمار أو مشاريع الاستثمار، ويقول "إن ذلك يعود إلى عدم استخدام المواد الصحيحة لطلاء خزانات المياه أو في أساسات الأبنية، إذ تحدث مشكلات تعاني منها الكثير من المنشآت والأبنية وهي تسرب المياه والرطوبة وتأثيرها السلبي طويل الأمد إذا لم تتم معالجتها بالطرق الصحيحة. كما أن عدم استخدام الايبوكسيات المنتجة وفق أعلى معايير الجودة العالمية والخاضعة لفحوصات السلامة لطلاء خزانات مياه الشرب في المستشفيات ومصانع ومخازن المواد الغذائية، سيعرض صحة الإنسان إلى خطر الإصابة بأمراض خطيرة قد تظهر أعراضها مباشرة أو على المدى البعيد".

وتعقيبا على ذلك تؤكد المهندسة هدى البغدادي "أن هناك الكثير من المضافات الخرسانية والايبوكسيات الرديئة وغير المصرح باستخدامها عالميا تباع حاليا في الأسواق المحلية بأسعار زهيدة لغرض إغراء الزبون بشرائها من دون الأخذ بنظر الاعتبار المشاكل الصحية والإنشائية التي ستحدث حتما جراء استخدام مثل هذه المواد على المدى القريب او المتوسط. وهذه المضافات تعطي القوة المطلوبة فقط عند استخدامها بكميات كبيرة على العكس من المضافات العلمية المجربة المتوفرة فعلا، ربما بأسعار أعلى نسبيا، حيث تحقق قوة وتماسكا عاليين للخلطة الخرسانية باستخدام كمية قليلة جدا منها كما أنها تساعد على تقليل التشققات وتعطي سطحا مصقولا للخرسانة وبالتالي تساعد على تلافي المشاكل التي قد تطرأ مستقبلا على المنشآت الخرسانية والناجمة عن سوء نوعية الخرسانة المستخدمة في البناء. ولا يخفى على الجميع أن إصلاح الأخطاء الإنشائية أصعب بكثير مما لو أنجز العمل بشكل علمي مدروس في مراحله الأولى وباستخدام المواد الصحيحة ، كما أن كلف تصليح التصدع أو التسربات عالية.

نظم التسطيح والمياه الجوفية

المهندسة والخبيرة ميادة احمد تقول "مسائل حيوية جدا في الأبنية السكنية والخدمية وهي تقنين الطاقة واستخدامها بشكل معقول علاوة على توفير بناء صحي واقتصادي. فمثل هذه الأمور لا تعود بالفائدة على الدولة فحسب وإنما تشمل المواطنين أنفسهم ، ولنأخذ فقرة التسطيح في الدور الخاصة كمثال حيث يعتبر استخدام الشتايكر في التسطيح الطريقة التقليدية المتبعة في العراق منذ زمن بعيد ولكنها وللأسف من أردأ الطرق المستخدمة في التسطيح حيث أثبتت التجارب الواقعية والدراسات العلمية أن الشتايكر غير عازل للحرارة والرطوبة ، ذو كلفة عالية خاصة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الحاجة الى تبديله او صيانته بصورة دورية كما أن الشتايكر يشكل ثقلا كبيرا على البناء وبالتالي تعتبر طريقة التسطيح هذه عدوة للإنسان والبيئة. وهنا تبرز الحاجة الى ايجاد البديل الذي يجنبنا المشاكل المذكورة آنفا ، والبديل الأمثل هنا هو نظام التايل فوم للتسطيح الذي يوفر عزلا حراريا ومائيا يصل الى ٧٢٪ مقارنة مع الشتايكر، أي انه يوفر بالطاقة الكهربائية ويمنع تكوّن الرطوبة التي تشكل خطرا كبيرا على صحة الإنسان وبالأخص الأطفال وكبار السن. إن الاستثمار في التايل فوم يوفر على صاحب البناء مبالغ عالية تتعدى آلاف الدولارات من خلال تقنين كمية الكهرباء المستخدمة يوميا.

وتؤكد المهندسة المتحدثة "أن ثورة فريدة حدثت في عالم الأصباغ باستعمال تقنية أبحاث وكالة الفضاء العالميةNASA Nano Tech – Nano Coat) أحدث تطوير في عالم الأصباغ الراقية لما يتمتع به من خواص فريدة ومتعددة فهو عازل للحرارة، ماص للصوت، مانع للتكثيف ، صديق للبيئة علاوة على انه يساعد على التوفير بالطاقة. هذا الطلاء يملأ ويغطي الشقوق الشعرية ومسام الأسطح في الوقت نفسه، وبالتالي فهو لا يحتاج بالضرورة إلى معجون سابق للطلاء.

أما طلاء كالزيل الطبيعي (Kalzil) فيتكون أساسا من مواد رابطة معدنية ميكرونية مصنعة بأحدث الوسائل الميكانيكية من مشتقات الكالسيوم. ولا يحتوي هذا الطلاء على أي مواد كيمياوية أو عضوية ضارة بالبيئة والصحة العامة كما انه غير قابل للاشتعال أو الحريق. تتميز تركيبته بالمسامات المفتوحة ، يساعد على نفاذ البخار وهو فائق المقاومة للرطوبة لذا ينصح باستخدامه في الأماكن عالية الرطوبة ، إضافة الى مقاومته للتغييرات الحرارية والعوامل الجوية القاسية. ومن مميزاته الأخرى انه غير قابل للتعفن ومقاوم للبكتريا والفطريات دون الحاجة إلى استعمال أي مواد كيماوية حافظة لهذا الغرض. وهو عديم الرائحة وبالتالي فهو مناسب للأشخاص المصابين بالحساسية. وأخيراً فإن طلاء كالزيل الطبيعي يتميز بسرعة الجفاف والتصلب حيث يتم ذلك خلال ٤ ساعات فقط".

ومثال آخر يطرحه المهندس عادل إذ يقول من الضروري الابتعاد عن أسلوب استخدام الكونكريت في كافة أجزاء البناء دون التفكير بالبدائل التي تستخدم على نطاق واسع عالميا. فالبحوث والدراسات أثبتت كفاءة العديد من مواد وأساليب البناء الحديثة مما يؤهلها للاستخدام كبدائل للطرق التقليدية المتعارف عليها في البناء . فالجدران الداخلية والخارجية مثلا يمكن إنشاؤها باستخدام الخرسانة خفيفة الوزن (CLC) التي توفر عزلا حراريا ومائيا وصوتيا في الوقت نفسه، إضافة الى خفة وزنها على العكس من الخرسانة التقليدية. يمكن إنشاء هذه الجدران باستخدام الخرسانة خفيفة الوزن كبلوكات (بالأحجام المطلوبة) أو كجدران كاملة .

الخبير والمهندس تحسين راضي يشير إلى نقطة مهمة أخرى تجب مراعاتها عند تصميم الأبنية في العراق وهي مستوى المياه الجوفية العالي جدا في الكثير من مناطق العراق وما يسببه ذلك من مشاكل في البناء، لذا فإن استخدام مواد العزل المائي المناسبة لكل موقع وموانع التسرب الجيدة هي مسألة جوهرية . وكذلك الحال بالنسبة الى الأراضي التي تحوي أملاحا عالية في تركيبتها ، فالبناء هنا يحتاج ايضا الى مضافات ومعالجات خاصة لتلافي مشاكل التآكل وغيرها من المشاكل التي قد تبرز لاحقا . حيث يحق للإنسان العراقي العيش في أجواء صحية جيدة كباقي البشر في بلدان العالم المتطور، ومسؤولية توفير سبل المعيشة الصحية المتطورة تقع الى حد ما على عاتق الشركات المجهزة لمواد البناء الحديثة المستخدمة في كل بلدان العالم المتطور .

تجربة عراقية ألمانية

حملنا هذه المعلومات الى المهندسة لينا الزهيري وهي نائبة مدير شركة لايكوكيم لايده العراقية الألمانية لتتحدث لنا عن احدث تجربة محلية في تصويب وتحسين الأعمال الإنشائية التي قالت: "تعتبر الدولة بكافة مؤسساتها الخدمية ، مسؤولة الى حد كبير عن توفير نمط الحياة الذي يتطلع إليه أفرادها. فبناء البنى التحتية، المساكن ، المستشفيات، المعامل وكافة المؤسسات الخدمية الأخرى من المهام الأساسية التي تقوم بها الدولة، واذا ما تم انجاز ذلك وفق أحدث ما توصل إليه العقل البشري من فنون وتقنيات البناء وبما يتماشى مع أعلى معايير الجودة العالمية، ستتحقق الفائدة والأهداف المرجوة للفرد على الصعيد الشخصي كما أنها سترتقي بالدولة الى صفوف الدول المتقدمة". وتضيف: "أن تجربتنا العراقية سجلت خطوات في مجال إنتاج مضافات الخرسانة ومواد البناء الحديثة وقد دأبنا من خلال خبراتنا العراقية والعالمية على إتباع احدث طرق الإنتاج مع مراعاة مواصفات السلامة بما يضمن سلامة البيئة والإنسان مع تحسين خواص المواد الإنشائية ، تقنين الطاقة وزيادة العزل الحراري والمائي والصوتي للمنشآت علاوة على التوفير في النفقات ، وبالتالي تعتبر مثل هذه التجربة أفضل من يدعم الدولة لتحقيق أهدافها في إعادة البناء والتطور والازدهار العمراني .

وتعرض الزهيري عناوين سلامة الإنشاءات التي تستخدم في هذه التجربة وهي: مضافات كيمياوية للخرسانة، نظام التسطيح Tile Foam، مونة الربط الخاصة، مواد معالجة للفطور والتشققات في البناء ، موانع التسرب المطاطية، مفاصل التمدد، وسائد ارتكاز الجسور، أصباغ حديثة عازلة للأسطح الداخلية والخارجية، أصباغ الايبوكسيات الخاصة، وذلك كله عبر نظام العزل المائي، نظام التسطيح والعزل الحراري، نظام الخرسانة الخفيفة، أنظمة موانع الرطوبة وتسرب المياه، نظام الأصباغ الايبوكسية.

مواد انشائية لا تمنع الرطوبة.. (عدسة/ محمود رؤوف)